مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

# تقرير الندوة الثانية
# مختبر القصة والرواية

## واقع الرواية الخليجية اليوم
## وعلاقتها بالمنجز العربي

د. زينب إبراهيم الخضيري
مشرفة مختبر القصة والرواية

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

بدأ اللقاء بتاريخ 2023/4/4م المعنون بـ: "واقع الرواية الخليجية اليوم وعلاقتها بالمنجز العربي" بحديث استهله الدكتور زيد الفضيل للترحيب بالمتحدثين وتقديم المشرفة على مختبر الرواية الدكتورة زينب الخضيري، وبدأت الدكتورة بمقدمة عن الرواية حيث ترتبط الرواية بوصفها فنا سرديا على نحو وثيق بالمكونات البيئية والإنسانية، فهي تلامس طبائع البشر ومشكلاتهم، وعلاقاتهم، وانتماءاتهم السياسية، والفكرية.

ولطالما كانت الرواية مصدرا لنقل المعرفة والأفكار وأخبار الأمم والحضارات ومرجعا لفهم الثقافات المختلفة من عادات وتقاليد وغيرها. عبر سرد قصص حياة مجموعة من الأشخاص والأحداث المختلفة التي مروا بها، ومهما اختلف مضمونها سواء أكانت رواية تاريخية أو اجتماعية أو سياسية فهي تحمل في طياتها مجموعة من التفاصيل التي تجسد لنا الواقع والزمن الذي يعيش به أبطال القصة وما يملكونه من أدوات وتكنولوجيا وطبيعة الحياة التي يعيشونها، حيث قطعت الرواية الخليجية شوطا طويلا باتجاه توافقها مع الأساليب السردية العالمية؛ آخذة بالمبدأ التجريبي في تنوع مواضيعها، وأيضا نزوعها أحيانا نحو الأسلوب الكلاسيكي.

ثم عرفت بالضيوف وهم د. طالب الرفاعي وهو روائي وقاص كويتي حصل على بكالوريوس الهندسة المدنية من جامعة الكويت عام 1982 وشهادة الماجستير (MFA) في الكتابة الإبداعية من جامعة كنغستون لندن، بدأ الكتابة الأدبية أثناء الدراسة الجامعية في منتصف السبعينيات، ترجمت بعض أعماله إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية، رأس لجنة التحكيم لجائزة البوكر العربية في دورتها الثالثة 2010 وهو مؤسس ومدير الملتقى الثقافي في الكويت، وكذلك مؤسس ومدير جائزة الملتقى للقصة القصيرة العربية. يعمل أستاذ زائرا لمادة الكتابة الإبداعية في الجامعة الأمريكية في الكويت.

والضيفة الثانية كانت الناقدة الدكتورة ميساء الخواجة من السعودية وهي حاصلة على دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية وآدابها من جامعة الملك سعود كلية الآداب قسم اللغة العربية. حاليا أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الملك سعود (1439) عملت وكيلة قسم اللغة العربية من عام 1430 – 1433. أيضا عملت مساعدة وكيلة كلية الآداب للجودة والتطوير 1443 – 1444، كذلك مستشارة غير متفرغة في وكالة وزارة الثقافة والإعلام للشؤون الثقافية 2011 / 2012.

درست الأدب الخليجي لمدة فصل دراسي، قسم اللغة العربية جامعة جورج تاون، واشنطن، 2014م، ولديها العديد من الأبحاث المنشورة والمحكمة، ومنها: النقد البيئي: مفاهيم وتطبيقات (تأليف مشترك)، الخطاب الروائي والأنساق الثقافية (المرأة – الجسد – التاريخ)، الكتابة والسخرية في "ركلات

ترجيح" لحسن السبع، تأليف مشترك، تتلوى كاف التشبيه: دراسات في تجربة حسن السبع، ولديها العديد من المشاركات الثقافية والنقدية.

والضيفة الثالثة كانت الروائية الإماراتية إيمان اليوسف مستشارة ثقافية لمهرجان طيران الإمارات للآداب وعدد من الجهات الثقافية والأدبية، وحاصلة على ماجستير في إدارة المعرفة، بالإضافة إلى دبلوم في الدبلوماسية الثقافية من برلين – ألمانيا، صدر لها سبع كتب منها ثلاث روايات حازت الثانية "حارس الشمس" على المركز الأول من جائزة الإمارات للرواية، وتمت ترجمتها إلى ما يزيد عن السبع لغات. كتبت أول فيلم إماراتي نسوي قصير بعنوان "غافة" وتم عرضه في مهرجان دبي السينمائي 2017.

بدأت الندوة بأن طرحت الدكتورة زينب سؤال موجه للدكتور طالب الرفاعي وهو ما واقع الرواية الخليجية الآن؟

واستهل د. طالب الرفاعي حديثة من خلال الورقة التي قدمها بعنوان: "واقع الرواية الخليجية اليوم، وعلاقتها بالمنجز العربي"، حيث الحديث عن واقع الرواية الخليجية اليوم، هو حديث عربي بامتياز. فالرواية الخليجية المعاصرة، ونعني بذلك تلك الرواية المنتمي لكتابتها ونشرها لكتاب خليجيين: السعودية، والكويت، والبحرين، وقطر، والإمارات، وعمان، باتت تشكل، باقتدار واضح، جزء أساسيا من نسيج الرواية العربية. وبقدر ما تتصف الرواية العربية بعوالم كتابها وانتماءاتهم القطرية، فإنها تعبر بصدق عن جغرافيا تلك البلدان، وأوضاعها الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية.

فكتاب السعودية قدموا ويقدمون رواية تتحدث عن واقع وإشكالات وأوجاع وآمال الإنسان السعودي، باختلاف الأماكن في المملكة، وكذا باقي الروايات الخليجية كل رواية تشكل وثيقة تاريخية للوضع الاجتماعي القائم في تلك الدولة.

إن نشأة وانطلاق الرواية الخليجية، في ثلاثينات وأربعينات القرن الماضي، تكاد تكون متشابهة في دول الخليج العربي. فلقد جاءت روايات الريادة، بصيغة بسيطة في فكرتها الواقعية، وتنتح من واقع الحكاية الاجتماعية، ولم تكون وقتذاك قد اكتسبت فنيات الكتابة الروائية الحديثة. ولقد، وهي لا تكاد تخرج عن رواية البدايات، أو الريادة، ومن ثم تأتي الرواية الحديثة المتصفة باكتمال عناصرها الفنية، وأخيرا تحل الرواية المعاصرة والقائمة بيننا اليوم.

وإذا كانت البيئات الخليجية الاجتماعية قد استقبلت الرواية في بداياتها بشيء من توجس أو فتور، كونها تزيح الغطاء عن المستور الاجتماعي، فإن الفترات التالية، والتي غامر كتاب الخليج بكتابتها بشكلها

الحديث، كما في أعمال إسماعيل فهد إسماعيل، والقصيبي، وتركي الحمد، وليلى العثمان، وغيرهم إنما كانت الشرارة المتوهجة التي سرعان ما أطلقت نار الرواية وأججتها بين كتاب الخليج والكتاب الشباب تحديدا، خصوصا والمكانة الأدبية التي احتلتها الرواية عالميا وعربيا، وأصبحت الجنس الأدبي الأكثر حضورا لدى الكاتب والناشر وجمهور القراءة والجائزة العربية.

إن واقع الرواية الخليجية اليوم، يكاد يتماثل مع واقع الرواية في مختلف الأقطار العربية، فلقد برزت أسماء روائية خليجية، وفي كل قطر عربي، تقف باقتدار إلى جانب أي روائي عربي، وفي جميع الأقطار الخليجية، من أمثال: عبده خال، ويوسف المحميد، وأميمة الخميس، ومحمد حسن علوان، وعبدالله ثابت وزينب الخضيري في المملكة، و ليلى العثمان، وطالب الرفاعي، ووليد الرجيب وباسمة العنزي وسعداء الدعاس ومنى الشمري في الكويت، و جوخة الحارثي وهدى حمد ويونس الأحزمي وعبدالعزيز الفارسي في عمان، وعلي أبو الريش، وميسون صقر و صالحة عبيد، وصالحة غابش، وسلطان العميمي في الإمارات، و فوزية رشيد، وخالد البسام، وعبدالله خليفة، وليلى المطوع في البحرين، و أحمد عبدالملك ودلال خليفة، وجمال فاير السعيد، وحنان الفياض، وعبدالرحيم الصديقي، وعايشة الخليفي.

مؤكد أن هناك سبقا كبيرا للرواية في بعض الأقطار العربية عن بعضها الآخر، بالنظر إلى توقيت ظهور الرواية، وطبيعة المجتمعات العربية، والحراك الثقافي فيها، كما في مصر ولبنان وسوريا والعراق والمغرب العربي. لكن ما يجب التأكيد عليه أن منجز الرواية الخليجية بأسمائها الأهم، والتي استطاعت أن تترك بصمتها الواضحة على المشهد الرواية العربية الماثل، إنما يقدم وجها مشرقا ودالا وحاضرا بين عموم المنجز الروائي العربي، حتى ما عاد ممكنا تجاوزه أو التغافل عنه، كونه يقدم مادة رواية عربية تشكل إضافة مهمة لعموم عالم الرواية العربية، ويهتم بها الآخر عبر الترجمة.

وقد تقاطعت الدكتورة ميساء الخواجا مع الدكتور طالب الرفاعي في نقاط كثيرة وذكرت الدكتورة ميساء الخواجا في ورقتها المعنونة ب: "واقع الرواية الخليجية" يفترض الحديث عن "الرواية الخليجية" وجود خصوصية مشتركة وسمات مميزة لتلك الرواية على مستويات عدة ترتبط بالمكان والثقافة والعادات والتقاليد أولا، ووجود آليات وملامح فنية خاصة بتلك الرواية تميزها عن السياقين العربي والعالمي ثانيا.

ويمكن القول إن الرواية الخليجية لا تنفصل بشكل أو بآخر عن سياق الروايتين العربية والعالمية على اعتبار أن الرواية خطاب ينفتح على عدد من الخطابات الأخرى ويقدر على استيعابها ومحاورتها. وأنها خطاب مجاله المجتمع بقضاياه المختلفة التي يقيم معها حوارا متماهيا معها أو مضادا لها.

ومن هنا فإن الحديث عن وجود تقنيات فنية وآليات سردية تميز الرواية الخليجية عن خيرها هو من الصعوبة بمكان إذ إنها تسير ضمن الآليات السردية التي تعارف عليها كتاب الرواية ونقادها على اختلاف في الطريقة والتناول بين كاتب وآخر، وهي لا تتجاوز الاشتغالات السردية بعامة سواء ما يتعلق بأدوار الراوي وأنواعه ووظائفه، أو التنوع في بناء الحدث وبناء الشخصيات، أو تقنيات الزمان الكبرى أو التعامل مع المكان بأنواعه ووظائفه. في الوقت نفسه يمكن الحديث عن ثيمات أو موضوعات قد تبرز في الرواية الخليجية على حساب ثيمات أخرى مع شيء من الاختلاف والتركيز على قضية ما بين مجتمع وآخر أو بين كاتب وآخر، وذلك نظرا لوجود شكل م أشكال الارتباط بين الرواية والفضاء الاجتماعي والثقافي الذي تنبثق منه وتتصل به.

ويمكن القول أيضا إن أبرز الملامح المشتركة في الرواية الخليجية هو تشابه في المضامين الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والثقافية التي يعيشها سكان المنطقة لا سيما بعد الطفرة الاقتصادية النفطية التي شكلت تحولا جوهريا في حياة السكان ومن ثم تناول تلك التحولات باعتبارها ملمحا أساسيا في عدد من الروايات لا سيما ما صدر مصاحبا لتلك الطفرة أو تاليا لها.

كما رافق ذلك نوع من تناول الصراع بين ثقافتي الماضي والحاضر وصراع الأجيال ودخول مفاهيم الحداثة وملامحها على مستويي الحياة والثقافة والإبداع. إضافة إلى تناول قضايا المسكوت عنه في الدين والجنس والسياسة التي أحدث معها بعض الكتاب هزات كبرى في محيطهم. وأيضا الرواية النسائية التي ظهرت بقوة كما وكيفا وأحدثت علامات فارقة في المشهد الثقافي المحلي والعربي.

لا يعني الحديث السابق وجود أحكام مطلقة تضع الروايات الخليجية كلها في سلة واحدة، فالنقد الموضوعي يقتضي الاعتراف بوجود خصوصيات وتفاوت في الكتابة بين روائي وآخر في البلد نفسه، فكيف بالمنطقة كاملة. لكنه يعني إمكانية الحديث عن ملامح مشتركة لا تلغي الفردية والاختلاف في الوقت نفسه.

إن وضع الرواية الخليجية في موقعها من خارطة المشهد العربي ما زال يحتاج إلى مزيد من التقصي والدراسة، والحديث عن مقروئية تلك الرواية ومكانتها ما زال يحتاج بدوره إلى المزيد من البحث العلمي الجاد. فالأمر لا يقترن فقط بمستويات الإصدار الكمي، ودور النشر والترجمة التي قد تخضع لعوامل

ربحية غير فنية. لكنه يقترن ببحث وإحصاءات وتحليل لموقع تلك الرواية فنيا ووجود تقنيات سردية وعوالم صاغتها فتمكنت من خلالها من لفت الإنظار إلى المشهد الإبداعي الروائي الخليجي.

هنا يمكننا الحديث عن روايات تصدرت المشهد الثقافي محليا وعربيا وعالميا لا سيما تلك التي دخلت القوائم القصيرة أو الطويلة لعدد من الجوائز المحلية والعربية والعالمية وعلى رأسها البوكر في نسختيها العربية والعالمية. ويمكن ملاحظة أن القائمة القصيرة للبوكر في الأعوام الأخيرة تكاد لا تخلو من رواية خليجية أو أكثر، ناهيك عن فوز عدد من الروائيين الخليجيين بها (عبده خال ورجاء عالم ومحمد حسن علوان وجوخة الحارثي على سبيل المثال). (في عام 2022 وصلت إلى القائمة القصيرة: دلشاد لبشرى خلفان من عمان، يوميات روز لريم الكمالي من الإمارات، الخط الأبيض من الليل لخالد النصر الله من الكويت. وفي هذا العام وصلت روايتا: الأفق الأعلى لفاطمة عبد الحميد من السعودية، تغريبة القافر لزهران القاسمي من عمان) ورغم أن الفوز بجائزة ما قد لا يعد المقياس الأول أو الوحيد في التعامل مع فنية الرواية وعالمها السردي، إلا أنه قد يعد مؤشرا واضحا على وضع الرواية الخليجية تحت مجهري القراءة والنقد، ويسير بها إلى واجهة المشهد الثقافي محليا وعربيا.

يمكن الانطلاق من مقولة "إن الرواية جنس غير منته في تكونه" للحديث عن تنوع كبير في التجارب الروائية وعن قدر غير متناه من محاولات التجريب والخصوصية في بناء العالم الروائي، الأمر الذي يعني أن كل تجربة روائية لها خصوصيتها ومسارها، بل إن تجربة الكاتب الواحد يمكن أن تخضع للفحص والتحليل من محاور عدة وزوايا مختلفة. ومن ثم فإن الحديث عن تجربة متشابهة في الروايات الخليجية فيه الكثير من التعميم وعدم الدقة وغياب الموضوعية. ومع ذلك يمكننا الحديث عن ملامح كبرى يمكن أن تنضوي تحتها محاولات التجريب التي تمس تعدد الرواة واختيارات مختلفة للراوي ونوعه وتقنية التداعي أو الفلاش باك، وتشظي الزمن والأحداث وتجاور الحكايات أو تناسلها، والحكاية داخل الحكاية وتوظيف التاريخ والتراث، والأسطرة وتوظيف العجائبي والغريب، وتداخل الخطابات والأنواع السردية وغير ذلك.

يمكن الوقوف بشكل موجز عند نموذجين روائيين لكاتبين وصلا إلى القائمة القصيرة هذا العام هما فاطمة عبد الحميد في (الأفق الأعلى) وزهران القاسمي في (تغريبة القافر) ومما يلفت النظر أن هاتين الروايتين تتناولان أفقا إنسانيا عاما وتجربة إنسانية تجمع بين الخصوصية المحلية والإنسانية في الوقت نفسه، على اختلاف في الرؤية والتجربة الفنية بين الكاتبين. وهذا يمكن أن يؤكد ما سبقت الإشارة إليه من أن الحديث عن الرواية الخليجية إطلاقا لا بد أن يحمل معاني الاختلاف والتشابه في الوقت نفسه.

تقوم رواية (تغريبة القافر) على فكرة التغريبة التي تعني أدب اللجوء أو الهجرة من مكان إلى آخر اختيارا أو قسرا، وقد تكون الهجرة خارجية أو محلية داخل البلد نفسه. وقد تحيل إلى نماذج كثيرة في الأدب العربي وفي التراث الشعبي والسير غير المكتوبة وأشهرها تغريبة بني هلال.

من هذه العتبة النصية الأولى يمكن الحديث عن رواية يقوم فيها الحدث على ترك سالم ولد عبد الله بن جميل قريته إلى قرية أخرى مساعدة لأهلها في البحث عن الماء، وتقوم على توظيف التراث والمعتقدات الشعبية حول حفر الأفلاج في عمان، مع أسطرة للشخصيات والحكاية وعناصر الطبيعة "الماء" بصورة أساسية.

تبنى الرواية على أحد عشر فصلا إضافة إلى الفصل الأخير المعنون ب "النهاية"، وتتمحور حول حكاية كبرى هي حكاية القافر (سالم ولد عبد الله بن جميل) من الولادة العجائبية حتى النهاية الغامضة والعجائبية في الوقت نفسه، وفي هذه الحكاية الإطار تتناسل الحكايات وتتوالد عبر شخصيات تتقاطع عوالمها ومصائرها في عوالم القرى البسيطة وحكاياتها (حكايات مريم بنت حمد ود عامر، وزوجها عبد الله بن جميل وشخصيات أخرى منها كاذية بنت غانم وسلام ود. عامور (الوعري) وآسيا بنت محمد وغيرهم). وفي هذه الحكايات يمكن الحديث عن أسطرة الزمن وإلغاء الفوارق بين الماضي والحاضر والمستقبل إضافة إلى زمن سديمي ممتد ومبهم في مشهد النهاية وغرق القافر في الفلج، وأسطرة للشخصية الأساس (القافر) مع ملامح أسطورية لشخصية (الوعري) وأسطرة لعناصر الطبيعة (الماء) الذي تتمحور حوله الحكاية.

يعتمد الكاتب على سارد عليم يراقب الأحداث والشخصيات ويتابع تفاصيلها وتفاصيل حكاياتها، لكنه يستعين أحيانا بالسرد غير المباشر حين يروي السارد على لسان الشخصيات ويساعدها في طرح الأحداث من وجهة نظرها. ويفتتح السرد بمشهد أقرب إلى صورة سينمائية يعلن فيه المنادي عن "الغريقة" مع تقديم سريع لبعض الشخصيات التي تدخل مفتتح الحكاية وتمسك بخيوطها. لكن الزمن لا يستمر في مساره الأفقي، بل تنفتح الحكاية على الزمن الماضي الذي يعرف فيه الراوي بمريم "الغريقة" والصداع الذي لازمها والحكايات التي أثيرت حولها وحوله وسقوطها في البئر، وعلاقتها بالماء الذي ستبنى الحكايات اللاحقة حوله. وبذلك تبنى الرواية على حكايات يتناسل بعضها من بعض في زمن يتشظى ويسير بشكل متواز أحيانا ومتابعا للحظة الحاضرة، لكنه يعود بإضاءات إلى الماضي تكشف عن الشخصيات وماضيها وعوالمها المختلفة، ويسير إلى الأمام مع استباقيات زمنية وإضاءات تكشفها الأحلام المستمرة التي تلازم بعض الشخصيات.

وبعدها استهلت الأستاذة إيمان اليوسف من الإمارات ورقتها والتي جاءت بعنوان: "تحولات السرد الإماراتي قصة بناء سردي من جيلين" ترى، كيف يكون المشهد السردي، روائي أو قصصي في دولة عمرها لا يتعدى الخمسون عاما؟ وكيف تأثرت وأثرت في الحراك الثقافي والأدبي مع دول عملاقة ثقافيا وأخرى تنمو فيها الكلمة باضطراد، وكلا الجهتين المقصودتين عربي.

علينا قبل أن نرصد تحولات السرد، والتي سأقسمها إلى قفزتين رئيستين وأفرد لكل نماذج وشرحا، علينا أن نعرج على مفهوم السرد. الرواية، بوصفها أم الفنون الأدبية اليوم والأكثر حضوة بالتأثير والتأثر والإقبال، وصفها الروائي نجيب محفوظ" بالفن الذي يوفق ما بين شغف الإنسان الحديث بالحقائق، وحنينه الدائم إلى الخيال"[1]. وما بين الواقع والخيال، استطاع الفن الروائي أن يستلهم بعض خصائصه من الأجناس الأدبية الأخرى، كالسينما، والموسيقى، والشعر، وأن يستثمر عناصر متناثرة كالرسائل، والوثائق، والمذكرات والأساطير، والوقائع التاريخية، والخيال العلمي، حتى أصبح كما يطلق عليه (ملحمة العصر).

تصب الرواية الحديثة في واقع الإنسان وفي صراعاته الداخلية أكثر من المدارس السردية الروائية التي سبقتها من وعضوية أو كلاسيكية أو تقديم مثل فاضلة في المدرسة الرومانسية وحتى تلك المدارس التي تميل إلى الخيالات والفنتازيا بعيدا عما نشهده رأي العين.

وإن كانت الرواية يرى لها جذور من فن المقامة، فإنها تظل فنا حديثا مستقى من الغرب. بدأت أول رواية عربية وهي "زينب" للكاتب محمد حسين هيكل عام 1913 بينما تعد أول رواية إماراتية سجلت سنة قيام الدولة عام 1971 لراشد عبد الله النعيمي بعنوان "شاهندة".

الملفت أن الروايتين بإسمي نساء وأنهما تتحدثان عن النخاسة " ذات البناء الفني القائم على كثرة المغامرات أو الصدف، وعلى التداخل بين الأسلوب الميلودرامي، والأسلوب الرومانسي، وحيث تراكم الحوادث هو صلب الموضوع" من واقع الإمارات وثم في "زينب" واقع البيئة المصرية، تحديدا في ريفها ومحيطها الاجتماعي والأخلاقي متأثرة بالمدرسة الرومانسية إلى حد كبير.

إذًا، فقد بدأت الرواية في دولة الإمارات العربية المتحدة مع بداية نشأة الدولة وفي عمرها، بينها وبين بداية الرواية العربية حوالي 58 عاما.

وجدت حين اطلاعي في بعض المصادر وصف "متأخرة" للرواية الإماراتية، ورغم أني أعلم أن المقصد هنا البعد الزمني، إلا أني تساءلت عن آثار وتبعات هذا التأخر. ترى، هل اختزلت المدرسة السردية

الإماراتية ما سبقها من مدارس في عدد من السنوات الأولى من حياتها، أي فترة السبعينات؟ أم أنها قفزت ببساطة عبرها وبدأت من حيث وصلت المدارس السردية في العالم وخاصة الوطن العربي، متأثرة بالدول من حولها خاصة العراق ومصر والشام حين تزدهر الكتابة والقراءة والنشر. خاصة النشر الذي لم يكن متاحا محليا حتى مطلع عام 2003 أي بعد قيام الدولة ومطلع النشر بما يزيد عن الثلاثين عاما.

فرضت البيئة الصحراوية سطوتها، حيث ينصب جل توجه المبدع الخليجي والإماراتي حول ذلك في الشعر والقصيدة. كما لعبت مدينة بومبي دورا رائدا في انفتاح الإمارات على العالم خاصة لأغراض التجارة والسياحة الطبية وكونها (على نمط إمارة دبي) ميناء ومرفأ تجاري مهم، "ثم عملت الصحف العربية إلى الإمارات ومنها صحيفة المنار المصرية، والتي أسهمت في حركة التنوير الثقافي لمجتمع الإمارات" بعد رواية شاهندة صدرت رواية عبد الله الناوري "عقد يبحث عن عنق" وهي رواية بوليسية جاءت تأثرا بالأدب البوليسي خاصة بروايات أرسين لوبين وأجاثا كريستي. كذلك فقد نشرت مع بداية قيام الدولة أول مجموعة قصصية لعبد الله صقر أحمد بعنوان "الخشبة" عام 1974. إذًا، فنحن نتحدث عن دولة نشأت فيها الرواية والقصة القصيرة معا وفي الوقت ذاته، الأمر الذي يعد غير مألوف وبالتالي لابد ترك بصمته المختلفة على الأدب الإماراتي.

إذًا، فنحن الآن نلاحظ محاولات نشر قوية وتحت تأثير المدارس الأدبية حولها مع قيام الدولة مع صعوبة النشر، إذ لا تتوفر دور نشر محلية ولن تتوفر خلال فترة السبعينات، والثمانينات ولا حتى التسعينات الأمر الذي كان له تأثيره الأقوى والأفضل في اختلاط وانفتاح الكتاب الإماراتيين بنظرائهم من العرب وقراءة الكثيرين للأقلام الإماراتية والتعرف عليها، إذ مع صعوبة النشر لجأ الكثيرون إلى النشر في المجلات والملاحق والصحف التي تعنى بالثقافة وتفرد لها.

على صعيد آخر، عملت صعوبة النشر وعدم توفره محليا على قلة الأعمال التي ينشرها الكتاب الإماراتيون، عددا وزخما. هذه كلها عوامل أثرت لاحقا في الهالة والفكرة التي اكتسبها الكاتب الإماراتي والأدب الإماراتي سواء على الجانبين الإيجابي والسلبي والذي حمل تأثيره وبصمته على الأدب حتى اليوم.

لرأب هذا الصدع والفجوة بين العمل المكتوب والعمل المنشور، تم إنشاء اتحاد كتاب وأدباء الإمارات عام 1984 دعما للكاتب الإماراتي والذي نتج عنه مجموعة من الإصدارات المتميزة منها "كلنا نحب البحر" والتي شهدت تسليط الضوء على أعمال 26 من أهم الكتاب الإماراتيين.

من كتاب المرحلة تلك والذي سأفرد لهم بعض المساحة هنا، ناصر جبران، صالحة غابش وحصة الكعبي ولولوة المنصوري ومريم الغفلي وعائشة العاجل وعلي أبو الريش كما سأتناول بعض المعاصرين من الكتاب الإماراتيين.

عبر الإضاءة على المواضيع التي تناولها الكتاب، سنرسم هنا خارطة توضح القفزتين الحادثتين بين جيلين مهمين في الإمارات. الجيل الأول والذي أذكر منه صالحة غابش وهو جيل وسطي زمنيا نشأ قلمه ونشر أعماله في فترة التسعينات ثم لاحقا حتى اليوم كما الحال مع بعضهم، مما جعلهم حلقة وصل بين جيل الرواد والجيل الحديث المعاصر أو الأدق، جيل ما بعد الحداثة.

نشرت صالحة غابش عددا من الأعمال، سأتناول منها رواية "رائحة الزنجبيل" والتي صدرت عام 2008 عن دائرة الثقافة والإعلام. تدور الرواية والتي تعد علياء شخصيتها الرئيسة وهي أستاذة جامعية وسيدة أعمال إلا أنها تعيش أزمة روحية. تتناول الكاتبة وضع المرأة الإماراتية في زمن حديث بكل التحديات التي تواجهها. تبدأ الرواية بمشهد يصور البطلة علياء "هائمة في الشارع تغتسل بالمطر النازل".

تسترسل القصة في منطقة الحيرة في الشارقة عبر زمن مضغوط مدته لا تتجاوز عدة أيام، إلا أن علياء تسرح بذاكرتها بين الحاضر وزمن الأجداد. تمثل غابش ما يمثله أغلب الكتاب الإماراتيون خاصة من جيلها، وهو التماهي بين خطين متوازيين الأول تأثير الحداثة ومادية الحياة والقفزات العمرانية على الحياة الروحية للفرد وعلى نشوء تحديات جديدة شاقة خاصة على تكوين الأسرة والخط الثاني وهو خط الهوية والأصالة والأجداد والمثل العليا والقيم التي يعدونها مهددة اليوم.

برغبة من الكاتبة في تبيان الخطين أو العالمين "تختار شخصيتين نسائيتين، إضافة إلى علياء وهما "عذيبة": العذبة ورمز المحبة والإخاء والنقاء التي ظلت في الريف ولم تتلوث بالثقافة المدنية الجديدة التي سادتها المصالح المادية والكذب والمجاملة والنفاق".

الزمان المقسم إلى الماضي الجميل والحديث الصعب والمتعب يبدو واضحا في مثال آخر من ضمن نماذج كثيرة منها رواية طروش إلى مولاي السلطان للكاتبة حصة الكعبي. وهما "زمان الخرافة وزمان التعلم، زمان القبيلة وزمان الحداثة".

في روايتها ترسم حصة الكعبي شخصية جمعة الذي يريد الاستفادة من منجزات الدولة أي أنه "يريد الخروج من زمان الخوارق والأعاجيب نحو الزمان الجديد الذي فيه مستشفى، ومدارس نظام".

من الواقع الاجتماعي والخطين المتوازيين، إلى خط توثيقي هام يعود إلى كتابة التاريخ كما يفعل سمو الشيخ الدكتور سلطان القاسمي وعدد من الكتاب من ضمنهم لولوة المنصوري كما في "آخر نساء لنجة" والتي تناولت الصراعات السياسية والثقافية الطويلة التي عصفت بسكان لنجة المسلمين، حيث تفرقوا إلى عدد من بلدان الخليج العربي ومدنه مثل المحرق وجلفار.

في جميع تلك الخطوط التي ذكرنا هناك نجد ثيمات ثلاثة رئيسة: البر والصحراء، ثم البحر، ثم المدينة والعمران وعليه نجد مهن النوخذة والطواش والصيادين وبيوت الخوص والأمهات والحنة، والرطب، وبيوت الطين، والغاف. تتسيد الألفاظ كما في قصة عبد الغفار حسين "وكان الدفتر رادي عليه" حيث ترد ألفاظ مثل "الوزار، كندورة، ريوك، الرويد، الكراشي، استكانة جاهي، المشاوة، العود." يتضمن الصراع بين الخطين الحديث والقديم، أيضا صراعا بين الأجيال. بين الأجداد والأحفاد. بين الذكورة والمجتمع المنفتح أكثر على الأنوثة والمرأة.

لتجاوز أفكار الماضي، تكتب كثير من الكاتبات من ضمنهن الكاتبة عائشة العاجل، والتي تناقش في روايتها "عودة ميرة" تطلعات النساء لتجاوز الماضي وأفكاره. ميرة الأم والأستاذة الجامعية (وهنا نلاحظ أن النساء في الروايات الحديثة الإماراتية أغلبهن عاملات مثقفات)، تتعرض ميرة للوفاة في حادث أليم تتكشف على إثره علاقاتها مع زوجها وأبنائها وأسرتها وبيئة عملها. كشف من نوع خاص عن قيم المجتمع التي تبدلت وبقي السطح القشرة، والأعماق مختلفان جدا.

إذًا، فقد بدأت الرواية في الإمارات واعية بهمومها، اجتماعية وموثقة للتراث والهوية ونضجت مع نضج الدولة وتطورها المعرفي والعمراني والثقافي بينما "انتهجت القصة القصيرة نهجا حداثيا منذ بدايات نشوئها في سبعينيات القرن المنصرم".

إلا أن ذلك لم يمنع القصة القصيرة إلى التطور إلى القصة القصيرة جدا على يد قصاصين مثل سلطان العميمي في "إشارة لا تلفت انتباه أحد" و"غربان أنيقة"، وصالحة عبيد في "زهايمر" و"ساعي السعادة" ونادية النجار في "لعبة البازل" وعفراء البنا في "سرير أبيض". مع تطور القصة القصيرة نجد المواضيع المطروقة ملائمة لمجتمع ما بعد الحداثة من قلق وتحديات العولمة بالإضافة إلى قضايا أصحاب الهمم (الاحتياجات الخاصة) وقلق الشيخوخة والديمومة وهاجس الخلود وغلبة الرقمنة والآلة وخوف ضياع الهوية وتشتتها خاصة لدى عفراء البنا ونادية النجار، ونتساءل، هل تخلص الكاتب الإماراتي اليوم من ثنائية الحاضر والماضي؟

خاصة أننا نتحدث عن ماض لم يمض عليه الكثير وحاضر قريب من هذا الماضي الذي نصفه. هي دولة وتطور سردي خلال خمسين عاما، أي في حياة الكتاب أنفسهم ولم يمض حتى أكثر من جيلين على هذا التقادم السردي، الذي جاء شعرا و"الخروفة".

مع الصورة التي تم تقديمها عن السرد الإماراتي وتأخر حركة النشر المحلي، نرى على النقيض حراكا ثقافيا فاعلا من معرض الشارقة للكتاب الذي يعد أحد أهم ثلاثة معارض كتاب عربية ومن أكثرها عائدا ماديا، كما أن الشارقة تم تخصيصها عاصمة عالمية للكتاب، بالإضافة إلى عدد كبير من المعارض والفعاليات مثل مهرجان طيران الإمارات للآداب، معرض سكة الفني، معرض أبو ظبي للكتاب وهذا بالإضافة إلى استضافة أبو ظبي العاصمة إلى الجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر) وجائزة الشيخ زايد للكتاب.

"تجاوزت بداية أن الرواية الإماراتية جاوزت مرحلة النهوض والتأسيس إلى مرحلة صنع الهوية الخاصة، دون أن نتوهم أن تلك الرواية تعيش عصرها الذهبي، فهي ما تزال تعيش مرحلة الصعود" لكن، أين تقع الرواية الإماراتية على خارطة السرد العربي؟

هل علينا معرفة ذلك لقياس انجازاتها في أقل من نصف قرن؟ "إن ما أنجزته هذه الرواية لا يقارن بما أنجزته الرواية في بعض البلدان العربية في ثلاثة أضعاف المدة".

الحقيقة، أن الرواية الإماراتية صنعت لغتها الخاصة وجاءت غنية بالثقافة الشعبية والحكايات الشفهية مستفيدة من الانفتاح على الآخر، إلا أننا ووفقا للدكتور يوسف حطيني لا نستطيع تقسيم الرواية إلى اجتماعية وتاريخية ونفسية بالقدر الكافي لأن "هذه التطورات تحتاج إلى أجيال دون أن ننفي التداخل الحاصل" من أفضل الأمثلة على تنوع وتداخل المشروع السردي الروائي الكاتبة مريم الغفلي، وسأسلط الضوء على رواية "نداء الأمكنة" لذلك. صدرت الرواية عن دار الحوار عام 2013. واعتمدت على كشف العلاقات الإنسانية في المجتمع الإماراتي بالإضافة إلى ثراء الرواية بالمفردات المحلية التراثية.

وتتناول مريم قصة غانم وسارة الزوجين الذي حطمت التعقيدات الاجتماعية والفكرية صفو حياتهما. أثقلت الرواية لغة وصف مفصلة لكنها احتفلت بحرية المرأة والجهاد وغيرها من القضايا التي شهدها المجتمع الإماراتي في تلك الفترة وقبلها بقليل.

لمريم الغفلي أيضا رواية "طوي بخيتة" والتي صدرت عن دار الحوار عام 2009 والتي تحمل وعيا بالتاريخ والتراث والعلاقات الاجتماعية. تقع الرواية في بيئة صحراوية وتزخر بالمفردات التراثية أيضا.

يدعم فكرة الخطين السرديين الرئيسين دكتورة سمر روحي فيصل في كتابها "قضايا السرد في الرواية الإماراتية" حيث تقول: "في الرواية الإماراتية بنيتان روائيتان: تقليدية وجديدة، الأولى سائدة والثانية تسعى إلى السيادة. في البنية الجديدة محاولة للقضاء على كل ما يتعلق بالبنية التقليدية، كالحكاية الروائية والسارد المهيمن العالم بكل شيء والشخصية الواضحة والترتيب المنطقي، والسببي للحوادث، والمكان، والزمان. وفي الوقت نفسه محاولة لتقديم بنية جديدة، عمادها السرد الذاتي الذي يقدم فيضا أو تداعيا سرديا للحوادث، لا يضبطه غير قدرة الروائي على جعله موحيا يدور حول شخصية واحدة يتماهى بها السارد الممثل داخل الرواية" وأفضل مثال على ذلك وأوضحه، الروائي والمفكر الإماراتي الكبير علي أبو الريش، مثلا في شخصية "المعتوه" في روايتي "نافذة الجنون" و"تل الصنم" وفيه يقدم السارد ممثلا لإنتاج السرد الذاتي، ففي كلاهما الحديث صريح وحلم بالتغيير.

الجدير بالذكر أيضا أن الروايتين الوحيدتين اللتين وصلتا إلى قوائم الجائزة العالمية للرواية العربية، هما "غرفة واحدة لا تكفي" لسلطان العميمي والتي وصلت إلى القائمة الطويلة عام 2017 ثم رواية "يوميات روز" للكاتبة ريم الكمالي والتي وصلت إلى القائمة القصيرة عام 2022.

هنا ننتبه إلى أن الرواية الثانية من النمط والخط الأول الذي ذكرناه، بينما الأولى من الخط الثاني.

توضح الدكتورة رحاب الكيلاني في رسالتها بعنوان "الهوية في الرواية الإماراتية" التالي: "لم تطرأ إشكالية في الهوية إلا حين بدأت الثقافة ذات البعد النفعي الاستهلاكي المحض، في اختراق كل ما كان يعد أصيلا، فعندما تكون هذه الأنا الأصلية حريصة على هويتها وقيمها فإن الانكفاء على الذات يكون الوسيلة الأجدى للمحافظة على ما بقي من قيم ومميزات خاصة بالجماعة، أي أن الثقافة تحمي ذاتها بتعميق الوعي بذاتها ونفسها وهي آلية من آليات ميكنزم الدفاع عن النفس" وبين الانفتاح على العالم، محاولة الفهم، قلق ما بعد الحداثة، ننظر بعين الخبير المتبصر اليوم نحو السنوات القادمة والتي بلا شك ستترك أثرا مغايرا على الجيل القادم وخطا مختلفا جديدا سوى ما تقدم الإفراد له وذكره.

ثم بدأت الأسئلة والمداخلات حيث تم سؤال د. ميساء الخواجا عن لماذا لا يقرأ النقاد الروايات؟

أكدت د. ميساء أن الرواية الخليجية متقدمة في تقنياتها وأدواتها وقد خطت وقفزت قفزات كبيرة، ولكن الموضوع لا يتعلق فقط في الناقد إنما يحتاج إلى عمل مؤسسي من أجل عمل مشروع نقدي حقيقي يساهم في تقدم النقد المبني على معايير ويواكب الإنتاج الروائي، وذكرت ميساء أن الناقد الحقيقي هو الذي يحمل مشروعا. وأن هناك مشكلة في التواصل الثقافي فكل شخص يتحرك بمناطق معزولة.

وفي سؤال د. زينب الخضيري للدكتور طالب هل هناك إحصائيات حقيقة تنبئ عن مقروئية الرواية في الوطن العربي والخليج؟

ذكر د. طالب الرفاعي أنه ليس لدينا إحصاءات عن مدى مقروئية الرواية، ولا ماذا يقرأ الشباب، من هو الكاتب المفضل لديهم، وماهي طبيعة الأعمال التي يفضلونها؟ لا نعرف ما لذي يجلب القارئ الشاب للروايات، وهذا دور اتحاد الناشرين العرب في قياس هذه الظاهرة.

وتطرقت الأستاذة ايمان اليوسف إلى أن موضوع نشر الرواية في الإمارات جاء متأخر حيث بدأت حركة النشر في عام 2003م وهذا يلعب دور في الحركة الثقافية والحراك فهناك قفزة بين جيلين وهناك ثنائيات تضاد بين الصح والخطأ، أنا مقابل الآخر، فداخل المنظومة الإبداعية كثير من التجارب والعقبات.

## وقد خلصت هذه الندوة إلى التوصيات الآتية:

1. ضرورة عقد ندوات أو محاضرات حول القارئ العربي، وحضوره في سوق النشر.
2. ضرورة تكليف كتاب ونقاد لدراسة طبيعة القارئ العربي وميوله، وطبيعة قراءات الفئات العمرية المختلفة.
3. ضرورة وجود حركة نقدية تستطيع مجاراة حركة النشر وفي مختلف الأجناس الأدبية.
4. ضرورة تواصل الكتاب الخليجيين والعرب لمزيد من التعاون ومعرفة الآخر.
5. التأكيد على أن الجائزة العربية أعجز بكثير من صناعة كاتب.
6. اقتراح معالجة موضوع النشر ودور النشر في الترويج لنمط قرائي محدد.
7. الرواية الخليجية والترجمة أين تقف الآن؟
8. متابعة قراءة واقع الرواية الخليجية والتركيز على التلقي العربي لهذه الرواية.
9. ضرورة وجود ناشر يرعى هذه الحركة والحراك في كتابة الرواية.
10. ضرورة بناء قارئ واعي، وناقد عربي وليس خليجي ينظر بعين أخرى للرواية الخليجية.

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

© جميع الحقوق محفوظة لمركز الخليج للأبحاث وشركة المعرفة